البُشريات

1437 هـ - 2015 م

تقرير

عن كتاب "حروب أوباما" لبوب وودورد

جمع وإعداد

حازم المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير عن كتاب "حروب أوباما" لبوب وداورد

إعداد:

الأخ/ حازم المصري (حفظه الله)

نشر

مجموعة البُشْرَيات

– بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يستعرض "بوب ودوورد" في كتابه (حروب أوباما) ذي الـ ٤٨٠ صفحة، ملابسات قرار "أوباما" بإرسال ٣٠ ألف جندي لأفغانستان عام ٢٠٠٩ والصراع بين الإدارة المدنية والمؤسسة العسكرية حول ذلك.

ويخرج منه القارىء العادي بنتيجة بسيطة ومباشرة: أن البقاء الأمريكي في أفغانستان ورطة إستراتيجية فحسب .. وناتج عن جمود وعدم قدرة على تغيير الوضع، وليس عن اقتناع بجدوى البقاء.. ، وإهدار للوقت بحثا عن خروج مشرف!

و"بوب وودوورد" هذا محقق صحفي بارز يعمل في "واشنطن بوست" منذ السبعينيات.. وكان مسئولا عن تفجير فضيحة "ووتر جيت" الشهيرة التي أطاحت برئيس أمريكا وقتها "ريتشارد نيكسون".

والكتاب هو الثالث في سلسلة نشرها منذ سنة ٢٠٠٢ تتميز بقربها الإستثنائي من كواليس صنع القرار.

الكتاب قديم نوعا ما (صدر عام ٢٠١٠ ويتناول حدثا يعود لعام ٢٠٠٩ ونشرته "دار الكتاب العربي" البيروتية في ٢٠١١ بترجمة متميزة من صنع "هاني تابري"، وهو متاح للتحميل على الشبكة].

بذل فيه كاتبه جهدا كبيرا، يكاد يكون إستخباريا، فقد استغرق تدوينه ١٨ شهرا، وقابل أكثر من ١٠٠ شخصية من ذوي النفوذ والمعنيين بالحدث، منهم "باراك أوباما" نفسه !

الكتاب لم يخلو من حشو وتطويل وتكرار، وإغراق للقارىء في تفاصيل غير مهمة، وجزئيات تافهة.. وجهة نظري؛ أنه كان يمكن إختصار حجمه للنصف دون التأثير على المادة والمحتوى.

وتميز الكاتب أنه لم يعطي انطباعات شخصية ولا تحليلات نفسية، وإنما سرد مجموع ما سمعه في لقاءاته وما اطلع عليه من وثائق في قالب سردي محكم، وهذا جانب مهني مهم.. ولكنه ترك الباب مفتوحا للتشكيك في المصداقية بإحتفاظه بسرية مصادره، كما أنه وضع عنوانا موهما أوسع من المحتوى .. فهذا مما يؤخذ على الكتاب مهنيا.

أهمية الكتاب تكمن في أنه يعطينا فكرة عن كيفية صناعة القرار في مؤسسة الرئاسة في القوة العظمى الوحيدة في العالم، وعن نظرتهم اليائسة لحرب أفغانستان، وكيف أنهم ليسوا بهذه الثقة والسيطرة التي يبدون بها في وسائل الإعلام.

القارىء سيجد نفسه مصدوما من حجم التضليل الذي تعرضه وسائل الإعلام عن الحكومة الأمريكية .. وسيكتشف أن القدسية والتمجيد اللذان يقرنهما الإعلام المأجور في بلادنا بأمريكا وقادتها ومؤسساتها دوما، ليس سوى ضرب من "التطبيل" والزيف.

فالكاتب يعرض لعشرات الحوادث والمواقف التي تدل على وجود مراكز قوى وتكتلات مصالح تؤثر على عملية صنع القرار السياسي والعسكري في أمريكا.

وحوادث ومواقف أخرى عن فجوة عميقة بين المؤسسة العسكرية والإدارة المدنية.. وبين المؤسسة العسكرية وأجهزة المخابرات.. وبين جنرالات المؤسسة العسكرية نفسها !

وحوادث ومواقف ثالثة عن مدى الفوضى التي تدار بها إجتماعات النخب السياسية والعسكرية.

سيجد القارىء نفسه متفرجا – بإستمتاع ودهشة – على صراعات شخصية على النفوذ تدور في بلاط نظام من أنظمة العالم الثالث، وليس "أمريكا" العظمى!

" فلو تسنى لأحد رؤية شريط مسجل لأحد اجتماعاتهم لأصابه الذعر.. لأنهم بعد ثماني سنوات من الحرب لازالوا يتجادلون حول الأهداف الأساسية".

فستجد "دنيس بلير" مدير المخابرات الوطنية NSA مثلا، يقول عن وكالة المخابرات المركزية CIA أنها " منظمة تشبه حيوانا خطيرا قليل الذكاء وجيد التدريب ينبغي وضعه تحت رقابة وثيقة من أشخاص بالغين".

وستجد نفسك مصدوما وأنت تشاهد كل هذا الكم من الإرتباك .. والفوضى .. والتردد .. والعجز .. والقلق .. والإرتجالية .. والصراعات ممن يفترض أنهم سادة العالم والمتحكمين في أقوى جيوشه.

– طالبان تنتصر–

من أكثر ما سيدهشك في هذا الكتاب هو التصريحات الواضحة عن انتصار "طالبان"، والتحدث بذلك بين كبار القادة والمسئولين السياسيين والعسكريين كأمر واقع بسيط !

فستجد "أوباما" نفسه يختتم أحد اجتماعاته مع قياداته العسكرية والإستخبارية قائلا : " **لقد ادركنا أننا لن نهزم طالبان هزيمة تامة.. وهذا ما اتفقنا عليه جميعا**". بهذه البساطة والوضوح.. واليأس!

بل الأكثر إدهاشا أننا سنجد تصريحات عن تفوق "طالبان" إداريا وتنظيميا، ليس على حكومة "كرازاي" العميلة فحسب.. بل على "حلف الناتو" نفسه ..!

فطالبان " **تمارس مستوى أفضل من مستوى الحكومة الأفغانية في الحكم والأمن وفض المنازعات في بعض المناطق**".

و"**لهم حكومة ظل تسعى بكل نشاط للسيطرة على السكان والحلول محل الحكومة الوطنية**" صـ٢٣٢ .

" **وهم يعينون حكام ظل لمعظم الولايات ويراقبون أداءهم ويستبدلونهم على نحو دوري**".

"**ويعينون محاكم شرعية لإصدار أحكام سريعة وفرض العدالة**".

"ويجبون الضرائب [كذا !] ويفرضون على المقاتلين والعمال الخدمة الإلزامية" صـ٢٣٣.

وقد تضاعف تعدادهم عدة مرات، فالجنرال "ماكريستال" [قائد الجيش الأمريكي وقوات الناتو في أفغانستان حتى يونيو ٢٠١٠] يصرح أن عدد أفراد "طالبان" ارتفع من ٤ آلاف فرد في ٢٠٠٣م، إلى ٢٥ ألف فرد في ٢٠٠٩م (صـ ١٨٧)

ليس هذا فحسب.. بل "**صُممت عمليات تمرد طالبان في مجملها بطريقة تجعلها أقدر على الصمود والإستمرار من تحالف القوات الأمريكية والدولية**" ..

ما بين المعكوفين مقتبس بنصه من تصريحات قادة الصف الأول المحيطين بأوباما!

– الإمبراطورية متورطة –

ستتفاجىء أن الدولة العظمى التي تمتلك ١٧ وكالة استخبارات، وجيش تعداده تجاوز ١٠٠ ألف جندي على الأرض الأفغانية منذ ٨ سنوات، وآلة تكنولوجية جبارة، وتحالف غير مسبوق من الحكومات العميلة؛ لا تعرف كم مساحة الأرض التي تسيطر عليها "طالبان" فعليا في "أفغانستان" صـ ٢٣٣

وستصطدم بأرقام مهولة عن حجم الورطة الأمريكية في "أفغانستان"، **ف "متوسط وضع جندي واحد في أفغانستان هو ٢٥٠ ألف دولار سنويا.. وتكلفة تأهيل جندي أفغاني واحد هي ١٢ ألف دولار**".

هكذا يصرح "بروس ريدل" لأوباما .. و"بروس ريدل" هذا هو محاسب الإحتلال في "أفغانستان" إذ يترأس ما يعرف بـ " الهيئة المشتركة بين الإدارات لمراجعة السياسة بشأن أفغانستان وباكستان".

سيقابلك أيضا تصريح مثير لـ "ريتشارد هولبروك" بأن " **٨٠% من الشرطة الأفغانية أميون، وأن إدمان المخدرات متفش بينهم، وأن العديدين من أفراد الشرطة هم أشباح.. يتلقون رواتبهم ولكنهم لا يلتحقون بالخدمة**" صـ٢٩٠

" و٢٥% منهم يتركون الخدمة لأسباب مختلفة.."

سيقابلك أيضا تلميحات متكررة عن الخلافات بين دول "الناتو" نفسها، "فقوات كل دولة من دول الناتو تعمل وفق قواعد الإشتباك الخاصة بها وترجع إلى وزارة الدفاع في حكومتها.. لذا فإن هذه التركيبة المتضعضعة للقوات تناقض المبدأ الأساسي للحرب وهو وحدة القيادة"

وستجد "بترايوس" قائد القوات المركزية الأمريكية وقتها، يقول : " **هذه الحرب هي من نوع القتال الذي طوال حياتنا وربما أيضا حياة أبنائنا" صـ ٤١٧**

وأن " زيادة عدد القوات ليست ضمانة للنجاح في أفغانستان .. لكن عدم إرسال المزيد من القوات يعني حتما خسارة الحرب"

ويقول أن استيلاء "طالبان" على الحكم سيحدث "**بسرعة فائقة**" بمجرد خروج الأمريكان

"جونز" – مستشار الأمن القومي – يصرح: "**ليس هدفنا هزيمة طالبان أو القضاء عليها.. ويعتبر هذا قد صار إجماعا بين قيادات المخابرات والجيش**" (صـ ٣٤٢)

رغم أن "جونز هذا واعٍ كل الوعي أنه "صراع عميق جدا" ليس بشأن طالبان والقاعدة، ولكنه "صراع بين حضارات وأديان" وأن النظام الدولي مهدد ككل فـ "**إذا لم ننجح هنا فإن المنظمات أمثال حلف الناتو والإتحاد الأوروبي والأمم المتحدة قد تُرمى في مزبلة التاريخ**"

و"جيتس" يصرح أنه "لاشك أن طالبان ستكون عنصرا في النسيج السياسي من الآن فصاعدا" صـ٢٨٣

و"جيتس" أيضا اقترح استخدام كلمة "إضعاف" طالبان بدلا من "هزيمة" طالبان .. !

يقول: لأن "**هزيمة طالبان مستحيلة**" .. هكذا ببساطة!

ومن هو "جيتس" هذا؟ .. إنه "روبرت جيتس" وزير دفاع "الولايات المتحدة الأمريكية" هو من يصرح لرئيسه بأن هزيمة "طالبان" مستحيلة

ووافقه "ليون بانيتا" مدير "المخابرات المركزية الأمريكية" .. وافقه على "**عدم إمكانية هزيمة طالبان**"!

وستجد أن النقاشات بين أولئك النافذين تدور معظمها حول : هل نتفاوض مع طالبان .. أم نُضعف طالبان .. أم نمزج كلتا السياستين.. أم نحاول دمج طالبان؟!

وفي كل فريق عدة آراء لكل مجموعة.. نتفاوض مع أي طالبان.. طالبان نفسها أم معتدليها.. أم نضعفها؟ فلأي حد.. وبأي معنى .. وما المدى الزمني لذلك كله .. ومتى ..وكيف؟

فالمهم إذن أنه لم يعد أحد في "البيت الأبيض" أو "البنتاجون" يتحدث عن القضاء عن "طالبان" أو إزالتها أو إفناءها .. واعترف الجميع ضمنيا بأنها أمر واقع لابد من التعامل معه!

- ملحوظات أخرى -

نستفيد من النقاشات المطولة التي ملأت الكتاب أن **الحرب ليست امتلاك القوة، قدر ما هي فن إدارة القوة**..

فالموارد البشرية المليونية، والحلفاء الأقوياء، وجيوش العملاء، والأموال ذات الاثنى عشر صفرا، والمجمع الصناعي العسكري الذي يعمل بلا توقف، ومراكز الخبراء والبحوث والتطوير، وأبواق إعلامية شديدة الكفاءة والمهنية؛ كلها متاحة للإدارة الأمريكية .. متاحة بوفرة "مربكة" ولكن صراعات مراكز القوى والتداخل الإداري وغيرها من العوامل أدت لفشل أمريكي كبير في المحصلة النهائية

سنخرج أيضا ببضع ملحوظات جانبية قد لا تكون متعلقة بصلب موضوعا:

- مثل أن "ديفيد بترايوس" وضع كتابا اسمه "الدليل الميداني لمكافحة التمرد" من خلاصة خبرته في العراق، وأن هذا الكتاب صار مرجعا للضباط وأن إتقانه صار معيارا للترقيات!

- ومثل هذا الإقتباس الملهم والمهم عن حجم الخطر الذي قد تشكله أعمال القرصنة الإلكترونية على الإقتصاد الأمريكي:

فمدير الإستخبارات الوطنية "وليم ماكونل" يقول:

"لو أن الإرهابيين التسعة عشر الذين نفذوا أحداث ١١ سبتمبر كانوا حاذقين في المجال الإلكتروني وهاجموا مصرفا واحدا لكان حجم تأثير عملهم على الإقتصاد الأمريكي والإقتصاد العالمي اكثر جسامة من إنزال برجي مركز التجارة العالمي.. فمثلا مصرفا "بنك أوف نيويورك" و"سيتي بنك" يتعامل كل منهما بحوالي ٣ تريليونات دولار يومي من التحويلات المالية. ولمعرفة مدى أهمية ذلك نذكر أن إجمالي حجم الإقتصاد الأمريكي أي الناتج المحلي الإجمالي السنوي يبلغ ١٤ ترليون دولار. فلو أتلفت البيانات المصرفية لدبت الفوضى المالية. ولن يستطيع الناس الحصول على أموالهم أو معرفة ما إذا كانت قد دخلت في حساباتهم أو حسمت منها لتسديد الدفعات المتوجبة عليهم. فهل يمكننا أن نتصور إمكانية تعطيل ذلك النظام؟

فالثروة أصبحت غالبا مجرد مادة مدخلة في الكمبيوتر. وقد بُنيت الأعمال المصرفية الحديثة على أساس ضمانة تلك المدخلات والثقة بها بدلا من ضمانة الذهب والعملات

وأضاف ماكونل: إن بإستطاعى بضعة أشخاص تدمير الإقتادين الأمريكي والعالمي والقضاء على الثقة بالدولار" ص ٢٩

- سنجد ملحوظة أمنية حول طريقة المخابرات الأمريكية في تأمين عملاءها " فلكل منهم اسم سري خاص به مختار بشكل عشوائي، مثل MOONRISE.. وإذا كان المصدر منتجا ويتحمل مخاطر كبرى فإن الكلام قد يكثر عنه في أروقة الوكالة. إنه ذو إنجازات فائقة لكن حين يصبح على لسان كثير من الناس فإنه يُقتل. وتُقام مراسم الجنازة ويحزن الجميع ويقول رئيسه في الوكالة إنه قد دفع حياته ثمنا لقيامه بالواجب. إلا أن MOON RISE لم يمت بالفعل، وإنما تغير اسمه السري وأصبح لدى السي آي إيه مصدر آخر باسم آخر.. وهذه مكيدة بارعة لمنح عميلهم أقصى درجات الحماية – أي الموت"

- ومثل تصريح مدير المخابرات الأمريكية وقتها "مايكل هايدن" بأن وكالته "تملك" أجهزة مخابرات أجنبية "مثل دائرة المخابرات العامة الأردنية" ص ٨٠

- سنلاحظ حجم النفوذ اليهودي على صانع القرار الأمريكي.. أبرز نماذجه المعروضة في الكتاب هو اليهودي "رام إيمانويل" المستشار الأول لأوباما وكبير موظفي "البيت الأبيض".. الذي لا يجد غضاضة في التصريح بأنه قاتل بنفسه في "إسرائيل" وكان يحمل جنسيتها..!

– سنلاحظ مدى انحطاط العملاء.. مثل الرئيس الباكستاني "زرداري" الذي نجده يجادل الأمريكيين في أحد المواقف، فالأمريكيون يريدون تقليل عدد الضحايا المدنيين الناتج من قصف الطائرات بدون طيار، حتى لا يساهم ذلك في تجنيد المزيد من المقاتلين وتعبئة الرأي العام ضدهم..

وزرداري يستغرب قلقهم بسبب أمر كهذا، ويقول بأن "الأضرار غير المباشرة" لا تستدعي كل هذا القلق ولا داعي لاعتبارها مشكلة.. !

كانت هذه هي أهم النقاط التي لفتت نظري في الكتاب .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.